

التفكير وذكر الله



« يقول الله تعالى في محكم كتابه :

1- (فَاذْكُرُونِي أَذْكُرْكُمْ ° وَاشْكُرُوا لِي وَلَا تَكْفُرُونِ) (البقرة / 152).

2- (رَجَالٌ لَا تُلَاهِيهِمْ تِجَارَةٌ ° وَلَا بَيْعٌ ° عَن ذِكْرِ اللَّهِ ° وَإِِقَامِ الصَّلَاةِ ° وَإِيتَاءِ الزَّكَاةِ ° يَخَافُونَ يَوْمًا ° تَتَفَلَّتَبُ فِيهِ الْقُلُوبُ ° وَالْأَبْصَارُ) (النور / 37).

3- (وَإِذْ كُتِبَ رَبُّكَ كَثِيرًا ° وَسَبِّحْ ° بِالْعَشِيِّ ° وَالْإِبْكَارِ) (آل عمران / 41).

المقصود من ذكر الله:

ليس ذكر الله تعالى باللسان فقط، بل اللسان ترجمان القلب، والهدف هو التوجه بكل وجودك إلى ذات الباري تعالى والذوبان فيه والاستغراق بجلاله وكبريائه وعظمته والشعور بحضوره ورقابته وإحاطته بكل كيائك، مما ينعكس على سلوكك وعملك وأخلاقك بحيث يصونك من الذنب ويدعوك إلى الطاعة.

ومن هنا ورد في أحاديث عديدة عن أئمتنا المعصومين (عليهم السلام) أن ذكر الله ليس باللسان فحسب، فعن الإمام الصادق (ع) في تفسير معنى ذكر الله: "من أشد من فرض الله مع خلقه ذكر الله كثيرا، ثم قال: لا أعني سبحان الله والحمد لله ولا إليه إلا الله والله أكبر، وإن كان منه، ولكن ذكر الله عندما أحل حرام، فإن كان طاعة عمل بها، وإن كان معصية تركها".

وعليه للذكر مراتب:

أ) الذكر اللساني.

ب) الذكر القلبي.

ج) الذكر العملي وهو ذكر □ عند الطاعة والمعصية، فإن كان طاعة عمل بها، وإن كان معصية تركها.

الذكر الكثير وعلى كل حال:

وقد أمرنا □ سبحانه بالذكر الكثير وأن يكون على كل حال، يقول جلّ وعلا: (وَإِذْ كُتِبَ عَلَيْكُمُ الذِّكْرُ كَثِيرًا مِّنْ قَبْلِ هَٰذَا وَقِيلَ لَهُمْ لَا تُفْلِحُونَ) (آل عمران/ 41).

(وَإِذْ ذَا فَضَّيْتُمْ الصَّلَاةَ فَادْكُرُوا اللَّهَ قِيَامًا وَقُعُودًا) (النساء/ 103).

(وَإِذْ ذُكِّرُوا اللَّهَ كَثِيرًا لَّعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ) (الأنفال/ 45).

(يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذْ ذُكِّرُوا اللَّهَ ذِكْرًا كَثِيرًا * وَسَبِّحُوا بِحَمْدِ اللَّهِ فِي الْبُكُورَةِ وَالْآصِيلِ) (الأحزاب/ 41-42).

ويُروى عن لقمان الحكيم: "يا بُنيّ، أقلّ الكلام واذكر □ عزّ وجلّ في كل مكان، فإنّه أنذرك وحذرك وبصرك وعلّمك".

وعنه: "يا بُنيّ، أكثر ذكر □ عزّ وجلّ، فإن □ ذاك من ذكره".

فالمؤمن يذكر □ كثيرا، وعلى كل حال، في الشدّة والرخاء، في الغنى والفقر، وهذا بخلاف المنافق الذي لا يذكر □ وإذا ذكره كان ذكره في الضيق والبلاء، يقول سبحانه: (إِنَّ الْمُنَافِقِينَ يُخَادِعُونَ اللَّهَ وَهُوَ خَادِعُهُمْ وَإِذَا قَامُوا إِلَى الصَّلَاةِ قَامُوا كُسَالًا يُرَاءُونَ النَّاسَ وَلَا يَذْكُرُونَ اللَّهَ إِلَّا قَلِيلًا) (النساء/ 142).

ويقول جلّ وعلا: (وَإِذْ آتَيْنَا آلَ إِبْرَاهِيمَ الْغُرُوبَ وَأَنبَأْنَاهُمْ أَنَّهُمْ آتِيكَمْ بِلَيْلٍ مُّبِينٍ فَذَكَرْنَا لَهُمْ عِبَادَتَنَا وَقَدَحْنَاهُمْ عَنِ آلِهَاتِهِمْ أَفَ يَتَّقُونَ) (الأنفال/ 67).

ولا يكتفي المؤمن بما أوجب □ عليه من الصلاة باعتبارها تذكّرا □ تعالى بل يستمرّ على ذكر □ كما أمره □: (وَإِذْ ذَا فَضَّيْتُمْ الصَّلَاةَ فَادْكُرُوا اللَّهَ قِيَامًا وَقُعُودًا).

ويقول سبحانه: (وَأَقِمِ الصَّلَاةَ إِنَّ الصَّلَاةَ تَنْهَى عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنْكَرِ وَلَذِكْرُ اللَّهِ أَكْبَرُ وَاللَّهُ يَعْلَمُ مَا تَصْنَعُونَ) (العنكبوت/ 45).

من ثمرات ذكر □:

لذكر □ أهمية كبرى في السير والسلوك إلى □ تعالى وإلى الكمال الإنساني، وقد جمع أحد العلماء ثمرات لذكر □ تعالى تعدت المائة، نذكر منها ثمرة مهمة جامعة وهي:

طمأنينة القلب:

يقول سبحانه: (الَّذِينَ آمَنُوا وَتَطْمَئِنُّ قُلُوبُهُمْ بِذِكْرِ اللَّهِ أَلَا بِذِكْرِ اللَّهِ تَطْمَئِنُّ الْقُلُوبُ) (الرعد/ 28).

لاضطراب القلب وقلقه وخوفه عوامل:

(أ) الجهل بالمستقبل:

فالإنسان يحتمل زوال النعمة، أو الأسر على يد الأعداء، أو الضعف والمرض، أو الفقر، فهذا الاحتمال يُقلق الإنسان، لكن ذكر الله والإيمان بأزله القادر المتعال الرحمن الرحيم، يستطيع محو القلق من النفس.

(ب) الخوف من الماضي:

فالإنسان العاصي يُفكّر في ماضيه الأسود فيُمتسي قلقاً بسبب الذنوب، ولكن ذكر الله والنظر إلى أن الله غفار الذنوب وقابل التوبة يُزيل الاضطراب.

(ج) الخوف من كثرة الأعداء وقوتهم:

يقول الله تعالى: (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا لَقَيْتُمْ فِئَةً فَاثْبُتُوا وَاذْكُرُوا اللَّهَ كَثِيرًا لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ) (الأنفال/ 45).

فنلاحظ في هذه الآية أن الله تعالى يأمر المجاهدين بذكر الله كثيراً ليثبتوا أمام الأعداء، ويطمئنوا بنصر الله وتسديده.

(د) الخوف من الموت:

وقد يضطرب بعض الناس أو أغلبهم من الموت لجهلهم بحقيقته وبما سيؤول إليه مصيرهم.

وبما أن المؤمن يعتبر الموت فنطرة لحياة أخرى وليس فناءً، وأزله سيُقدم على ربِّه غفور رحيم، فإن الاضطراب والقلق سيزول أو يقل.

هذا بالإضافة إلى عوامل أخرى تولد الاضطراب والقلق في نفس الإنسان، إلا أن المؤمن بالله حينما يعيش مع الله وذكره فإنَّه ينفى القلق والاضطراب.

وفي المقابل يقول تعالى عمّن أعرض عن ذكره: (وَمَنْ أَعْرَضَ عَنْ ذِكْرِي فَإِنَّ لَهُ مَعِيشَةً ضَنْكًا وَنَحْشُرُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ أَعْمَى * قَالَ رَبِّ لِمَ حَشَرْتَنِي أَعْمَى وَقَدْ كُنْتُ بَصِيرًا * قَالَ كَذَلِكَ أَتَتْكَ آيَاتُنَا فَنَسَيْتَهَا وَكَذَلِكَ الْيَوْمَ تُنْسَى) (طه/ 124-126).

المعيشة الضنكة هي معيشة الاضطراب والقلق والضيق.

ونلاحظ أن المجتمع الغربي المادي يعيش اليوم الاضطراب والأمراض النفسية وما ذلك إلا لبعدهم عن ذكر الله والإيمان الحقيقي به.

وهم رغم حياتهم المادية وتطورهم العلمي والصناعي إلا أنهم فارغون من حيث الروح والمعنويات والراحة النفسية، وتقارير الصحف والمجلات تؤكد هذا الكلام.

يقول لقمان الحكيم لابنه: "إن مثل أهل الذكر والغفلة كمثل النور والظلمة".

مجالس الذكر أم مجالس النت:

كيف نختار مجالسنا حتى تكون عامرة بذكر الله؟ هل يمكن أن تكون مجالسة التلفزيون والإنترنت مجالس ذكر أم هي مجالس لهو وفساد؟

يقول لقمان لابنه: "يا بُني اختر المجالس على عينك، فإن رأيت قوماً يذكرون الله عز وجل فاجلس معهم، فإن تكن عالماً نفعك علمك، وإن تكن جاهلاً علّموك، ولعل الله أن يظلمهم برحمته فيعممك معهم".

وكان يقول: "الله لا تجعل أصحابي الغافلين الذين إذا ذكرك لم يعينوني، وإذا نسيتك لم يذكروني".

لكن نستطيع أن نستفيد من كل هذه الوسائل وأن نحولها إلى مجالس ذكر ووعي.

فلا نستفيد إلا من الفضائيات التي تنر وتبث الخير والدّين، ولا نستعمل الإنترنت إلا بما يفيدنا في الدنيا والآخرة.

موانع ذكر الله:

هناك أمور تمنع عن ذكر الله منها:

(أ) الخمر والميسر:

يقول تعالى: (إِزْمًا يُرِيدُ الشَّيْطَانُ أَنْ يُوقِعَ بَيْنَكُمُ الْعِدَاوَةَ وَالْبَغْضَاءَ فِي الْخَمْرِ وَالْمَيْسِرِ وَيَصُدَّكُمْ عَنْ ذِكْرِ اللَّهِ وَعَنِ الصَّلَاةِ فَهَلْ أَنْتُمْ مُنْتَهُونَ) (المائدة/ 91).

وصحيح أن الآية تعرّضت للخمر والميسر وهي بعيدة نوعاً ما عن مجتمعاتنا، ولكن الأثر الناتج عنهما نجده بعينه مترتباً على أمور شائعة في مجتمعنا كاللعب بالورق وما شابهه من آلات اللهو، بحيث إنّه يحين وقت الصلاة ولا يقوم اللاعبون إليها لانشغالهم باللعب واللهو.

(ب) الأموال والأولاد:

قد تكون الأموال والأولاد مانعاً عن ذكر الله، يقول سبحانه:

(يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تُلَهِكُمْ أَمْوَالُكُمْ وَلَا أَوْلَادُكُمْ عَنْ ذِكْرِ اللَّهِ وَمَنْ يَفْعَلْ ذَلِكَ فَأُولَئِكَ هُمُ الْخَاسِرُونَ) (المناقصون/ 9).

على الإنسان المؤمن أن لا يستغرق في جمع المال ولهو الأولاد، وليجعل للآخرة نصيباً من عمله.

"قل لعملك عندي صلاة، ولا تقل لصالتك عندي عمل".

(ج) الغناء والملاهي:

روي عن لقمان الحكيم قائلاً لابنه: "لا تسمع الملاهي، فإنّها تنسيك الآخرة".

ونسيان الآخرة تعني نسيان الله، فهما مرتبطان.

(د) النظرة الحرام:

عن الإمام عليّ (ع): "ليس في الجوارح أقلّ شكراً من العين، فلا تُعطوها سؤالها فتُشغلكم عن ذكر الله".

(هـ) الانشغال بذكر الناس:

يقول أمير المؤمنين (ع): "مَنْ اشْتَغَلَ بِذِكْرِ النَّاسِ قَطَعَهُ سُبْحَانَهُ عَنْ ذِكْرِهِ".

وليس معنى ذلك الانعزال السلبي عن الناس وعدم خدمة الناس، بل يعني أن لا يكون رضى الناس همّهم بل رضى الله سبْحَانَهُ لا يبدؤ أن يكون أكبر همّهم. ▶

المصدر: كتاب... وذكرى للمؤمنين